

أضواء البيان

@ 194 @ النظير بالنظير من الشرع ، لا مخالف له كما يزعمه الظاهرية ومن تبعهم . .
المسألة الرابعة .

اعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتهدون في مسائل الفقه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم ، وبعد وفاته من غير نكير . وسنذكر هنا إن شاء الله تعالى أمثلة كثيرة لذلك . .
فمن ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يصلوا العصر في بني قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاً في الطريق وقال : لم يرد منا تأخير العصر ، وإنما أراد سرعة النهوض . فنظروا إلى المعنى . واجتهد آخرون وأخروها إلى بني قريظة فصلوها ليلاً . وقد نظروا إلى اللفظ ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر . وأولئك سلف أصحاب المعاني والقياس . .
ومنها أن علياً رضي الله عنه لما كان باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون في غلام . فقال كل منهم : هو ابني . فأقرع بينهم ، فجعل الولد للقارع وجعل عليه الرجلين الآخرين ثلثي الدية . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت تواجذه من قضاء علي رضي الله عنه . ومنها اجتهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه في حكمه في بني قريظة ، وقد صوبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات) . .
ومنها اجتهاد الصالحين اللذين خرجا في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت ، فأعاد أحدهما ولم يعد الآخر . فصوبهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال للذي لم يعد (أصبت السنة وأجزأتك صلاتك) ، وقال للآخر : (لك الأجر مرتين) . .
ومنها اجتهاد مجزر المدلجي بالقيامة ، وقال : إن أقدام زيد وأسامة بعضها من بعض ، وقد سر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك حتى برقت أسارير وجهه . وذلك دليل على صحة إلحاق ذلك القائف الفرع بالأصل ، مع أن زيدياً أبيض وأسامة أسود . فألحق هذا القائف الفرع بنظيره وأصله ، وألغى وصف السواد والبياض الذي لا تأثير له في الحكم . .
ومنها اجتهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الكلاله قال : أقول فيها برأبي فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان (أراه ما خلا الوالد والولد) فلما استخلف عمر قال : إني لأستحيي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر . .
قال مقيدة عفا الله عنه وغفر له : ومن أغرب الأشياء عندي ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . من أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار له إلى معنى الكلاله إشارة واضحة